قصر عنه جميعه وحق بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم نوع غشاء ليس مما يتعارفه
الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه
ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم وتواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر
ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا الكفر و
خلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على
عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم
عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان واناسي فحذفت الهمزة حذفها
في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا
شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او
آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن
موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة
مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار
المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان
الاجناس انما تتنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني و
اختصاص الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء
بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون
فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا
كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا
اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم و
افراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن ايمانا
كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة
والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ
وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي
ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه

عكـ

عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في
ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما
قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا
لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية
في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين آمنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما
تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع
اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان
لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله تعالى ليس على ظاهره لانه
لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على
ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال الله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان
الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل
من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام
عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان
ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة
والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرأ
يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم
ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعونها الى منابذيهم
الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو
والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها
بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية
وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون
بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات
الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها
به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا
تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما
يشعرون لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور

Copyright © King Saud University